جامعة عبد الرحمن ميرة ***الوحدة: نقد عربي قديم***

كلية الآداب و اللغات ***محاضرة***

قسم اللغة و الأدب العربي ***ا/شيبان***

النقد الانطباعي في العصر الأموي

لقد اتسعت دائرة النقد في هذا العصر بفضل الفتوح وحياة الاستقرار التي عرفها العرب في هذه الحقبة. أضف إلى ذلك انتقال الخلافة من الحجاز إلى دمشق، فازدادت بذلك حدة المعارضة في موقفها من الحكم الأموي. وكان لهذه العوامل أثرها الفعال على الحركة الشعرية والنقدية.

لقد نما الشعر الأموي في ثلاثة معاقل؛ **الحجاز، العراق، الشام.** ففي هذه البيئات ازدهرت الحركة النقدية تبعاً لألوان الشعر التي راجت فيها.

-**بيئة الحجاز:** عاش الحجازيون حياة مترفة، فانصبت الأحكام النقدية على غرض الغزل، بسبب شيوعه في الحواضر والبوادي **(الغزل الماجن)** الذي حمل لواءه عمر بن أبي ربيعة، ثم تبعه شعراء كثيرون من مكة والمدينة؛ كابن قيس الرقيات والأحوص... وبالمحاذاة ظهر **الغزل العفيف** في البوادي؛ فقاد لواءه كثيّر عزة، وجميل بن معمر.

وقد استتبعت هذه الطفرة الشعرية حركة نقدية سايرتها في الروح والذوق، فاشتغل النقد في الحجاز **بالصورة الفنية،** متأثراً بمقاييس الفقه والأخلاق والمبالغة في إصدار الأحكام. ودار أكثره في شعر عمر بن أبي ربيعة لارتباطه أساساً بالغناء.

وقد مثّل الحركة النقدية في بيئة الحجاز كل من **ابن أبي عتيق، والسيدة سكينة** بنت الحسين الدمشقية، وكلاهما صاحب مكانة دينية يحسب لها ألف حساب. وقد وصف طه حسين وضع المجتمع الحجازي في عهد الدولة الأموية قائلاً:« **جلبت الحضارة جلباً إلى**

الحجاز وبلاد العرب، فكان الترف وكان التبطل، فكان الغناء والإيقاع والشعر الذي لا يصوّر جداً ولا نشاطاً، وإنما يصوّر بطالة وتهالكاً من أجل اللذة »[1].

وهكذا نزع عمر بن أبي ربيعة في شعره نزعة تحررية إباحية، مما عرّضه إلى نقمة بعض النقاد والفقهاء. وكان ابن أبي عتيق لا يتردد في نقده ل عمر بن أبي ربيعة على الرغم من تعصبه الشديد لشعره، وإعجابه به، فيروى أنه أنشد (عمر بن أبي ربيعة) ذات يوم:

بيـنما ينعتـنني أبصــرنني دون قيد الميل يعدو بي الأغر
قالت الكبرى أتعرفن الفتى؟ قالت الوسطى: نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيّمــتها قـد عـرفناه وهل يخفى القــمر ؟ !!

فقال ابن أبي عتيق: أنت لم تنسب بها، وإنما نسبت بنفسك(تغزلت بنفسك)، كان ينبغي أن تقول: قلت لها، فقالت لي، فوضعت خدّي فوطئت عليه[2].

-**النقد في بيئة العراق:** عني النقد بالجوانب اللغوية والنحوية والتقيد اللفظي والموازنات والدراسات القرآنية والسرقات الشعرية التي شاعت بفعل الصراع العصبي والفكري وانتشار حلقات العلماء في كل من الكوفة والبصرة. وكان شعر **الفرزدق وجرير وذي الرمة** مدار هذا النقد الذي كاد يخلص إلى **الهجاء**.

ارتكزت الحركة النقدية في المجالس العامة والخاصة، وكذلك في الأسواق والمساجد. وكان النحاة والخلفاء والأمراء يسهمون في إبداء الرأي متكئين على ميولهم الأدبية وأذواقهم الخاصة. وكانت المفاضلات تكاد تقتصر على الثلاثي **(جرير، الفرزدق، الأخطل)**، وكان النقاد يدلون بأحكام معللة تارة، وغير معللة تارة أخرى. إذ يروى أن الأخطل سُئل: أيّكم

[1] - طه حسين، الفتنة الكبرى، نقلاً عن قصي الحسين، النقد الأدبي عند العرب واليونان، ص 115.
[2] - الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص53.

أشعر؟ قال: أنا أمدحكم للملوك، وأنعتكم للخمر والحُمُر؛ أي النساء، وأما جرير فأنسبنا وأشبهنا، وأما الفرزدق فأفخرنا[3].

كما أن للنحاة نصيبهم النقدي حين راحوا يُحكّمون الأسس والقواعد النحوية على الشعر، فوجدوا في شعر الفرزدق شواهد خصبة لنقدهم النحوي. وكان **عبد الله بن إسحاق الحضرمي** من أكثر النحويين تتبعاً لأخطاء الفرزدق، فحدث مرة أن قال:

وعضّ زمان يا بان مروان لم يدع من المال إلاّ مسحتاً أو مجلّفُ

فنقده ابن إسحاق قائلاً: كان من الواجب أن تقول مجلفاً لأنه معطوف على منصوب. فهجاه الفرزدق قائلاً:

لو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

فقال ابن إسحاق: لقد لحنتَ، كان ينبغي أن تقول: مولى موالٍ لا مولى مواليا[4].

إن الملاحظ أن ابن إسحاق لم يكن مكترثاً بهجاء الفرزدق بقدر ما كان يهمه إبانة الخطأ الذي لحن فيه الشاعر.

وكان سوق **المربد** مركزاً لحلقات المناشدة بين الشعراء على اختلاف قبائلهم ومذاهبهم السياسية، فبرزت **أشعار النقائض بين جرير والفرزدق والأخطل**، وقد شجع الأمويون على إذكاء النعرات القبلية خدمة لمصالحهم السياسية. وقد نشأ عن هذه النقائض جدل علمي، تخللته حوارات أدبية ولغوية متعددة الوجوه والأبعاد. وكان النقاد يزاوجون بين **النقد اللغوي** الذي يعنى بالتقييد اللفظي والنحوي، ثم سرعان ما يتجاوزونه إلى أضرب **النقد الفني** المتصل بالعناصر الجمالية في الشعر.

---

[3] - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص286.

[4]- أحمد أمين، النقد الأدبي، ج2، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ص 469.

-**النقد في بيئة الشام:** كانت بلاد الشام مقر الخلافة الأموية، ومن الطبيعي أن ينتشر غرض **المدح** بحكم علاقة الشاعر بالسلطة طلباً للكسب والحظوة. وكان الخلفاء يغدقون على الشعراء بالعطاء والهدايا، فتحولت القصور إلى منتديات أدبية ونقدية. يقول الباحث خالد يوسف بهذا الصدد: «**ولو تدبرنا شعر الشام، وفي العصر الأموي لألفيناه في مجمله شعراً سياسياً يخدم الأمويين بالمديح** »[5]. وكان الأخطل من أشهر الشعراء مدحاً وتأييداً لسياسة الأمويين، ولذلك برزت عدة أحكام نقدية في مجالس الملوك والأمراء، فكانت أحياناً تتعارض بين رؤية الحاكم(عبد الملك بن مروان) الداعية إلى **التجديد**، وعدم الاكتفاء بالتشبيهات النابعة عن **ذوق بدوي خالص**.

وكان عبد الملك بن مروان يلحّ في مجالسه على الفضائل النفسية المرتبطة بفن التشبيه، فيدعو الشعراء إلى الكف عن تشبيهه بالحية والأسد، إذ يروى أن الأخطل دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين قد امتدحتك، فقال: إن كنت شبّهتني بالحية والأسد فلا حاجة لي بشعرك[6]. وفي موضع آخر قال لذي الرمة: ما مدحت إلاّ ناقتك فخذ منها الثواب.

وفي أحايين أخرى التفت عبد الملك بن مروان إلى طبيعة الألفاظ والقوافي التي تخلّ بسلامة الشعر، فحدث أن سمع ابن قيس الرقيات يقول:

إن الحوادث بالمدينة قد أوجعنني وقرعن مروتيه

وجببنني جبّ السنام ولم يتركن ريشاً في مناكبيه

فقال عبد الملك: أحسنت إلا أنك خنثت قوافيه[7].

كما تجلى النقد الأخلاقي عند الخليفة الخامس (عمر بن عبد العزيز)؛ إذ فرض على الشعراء ميزان **الصدق والأخلاق** تأسياً بالرسول (ص)، والخلفاء الراشدين، فحاول أن يعدل

---

[5] - خالد يوسف، في لنقد الأدبي وتاريخه عند العرب، ص 89.

[6] - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص301.

[7] - المصدر السابق، ص 345.

بالشعراء عن الغزل الماجن والهجاء اللاذع. وقد نفى عمر بن أبي ربيعة إلى إحدى الجزر، بعد أن كان يتربص بالحاجّات وهنّ بلباس الإحرام. كما نفى الفرزدق من المدينة لتماديه في الفجور.

وفي عهد الوليد بن يزيد، تفنن الشعراء في وصف الخمرة والتغني بمحاسنها. وهكذا تفاوتت مقاييس الحكم النقدي في بيئات العصر الأموي على نحو يعكس ما ساد فيها من أحداث، وما اختلف فيها من أذواق وثقافات. وبتعدد بيئات النقد تنوعت الأحكام النقدية التي سارت نحو العلمية، واستنباط المقاييس على أساس التعمق والإدراك الواعي بخصائص الفن الأدبي ومقوماته.

وعموماً يمكن أن نجمل خصائص الحركة النقدية في العصر الأموي في النقاط التالية:

*عرفت الحركة النقدية ثراء كبيراً في مجالس الخلفاء التي كانت حافزاً في بروز ملكات النقد، كما سمحت بإذكاء روح المنافسة بين الشعراء.

* كان لمجالس العلماء والرواة الدور الفعال في اتساع مجال النقد الأدبي، فاستحدثت مقاييس جديدة في الوزن والشكل والأسلوب، كما كان لهم الفضل في صيانة اللغة من العجمة واللحن والإسفاف، فراحوا يجمعون الشواهد اللغوية قياساً إلى سنن العرب في كلامها. وغدا تفضيل الشعراء يعتمد على أساس ما يتوفر في شعرهم من صحة لغوية ونحوية.

* لاحظنا غلبة الرأي الذاتي على كثير من الأحكام النقدية، فمال النقاد إلى التعميم في أحكامهم، وقد ساد هذا التوجه بالأخص في بيئتيْ الشام والحجاز.

* تراجع المعيار الديني والخلقي في الحكم على الشعر والشعراء، وإحلال المعيار السياسي بدله، فاتخذ الشعر وسيلة للدعاية السياسية، قصد تثبيت الخلافة الأموية، ومجابهة معارضيها.

* اعتماد الحركة النقدية في عصر بني أمية على الموازنات المعللة، فقد سعى النقاد إلى إبراز الشروط الفنية التي تبرز محاسن الأشعار في صور جميلة مستساغة.